

(1)

علو الهمة سبيل الأمم المتحضرة .

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : □ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ □ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن الدين الإسلامي بتعاليمه الراقية يحثُّ الناس على علو الهمة ، والاجتهاد ، والإعمار ، وينهى عن الكسل ، والخمول ، والإفساد ، وهذا مما جاءت به **الرسالات السابقة**، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : □ أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بَيِّنَاتٍ فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى □ ، ولقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) قدر علو الهمة في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (إنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ ، وَمَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا) ، وقال سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : " لَا تُصْعِرَنَّ هِمَّتَكُمْ ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَقْعَدَ عَنِ الْمَكْرُمَاتِ مِنْ صِعْرِ الْهَمِّ " ، وقد قيل : من علامة كمال العقل علوُّ الهمة ، والله در أبي الطيب المتنبي في قوله :

ولم أر في عيوب الناس شيئاً * كتقص القادرين على التمام

على أن علو الهمة ليس قاصراً على مجال معين ؛ وإنما ينبغي أن يتحقق في كل ما يقوم به الإنسان في حياته ، ومن ذلك : **العبادة** ، فلقد حفز الشرع الشريف على المسارعة ، والمسابقة في ميدان العبادة ، حيث يقول تعالى : □ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ □ ، وقد ضمن الحق

(2)

سبحانه وتعالى جزيل الأجر لمن سعى وجد واجتهد في عبادته ، فقال سبحانه :
□ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا □ .

وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) صاحب همة عالية في كل شئون حياته ،
ومنها عبادته ، فقد خاطبه ربه سبحانه وتعالى قائلاً : □ يَا أَيُّهَا الْمُرْمِلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا
قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إنا سألني عليك قولاً
ثَقِيلًا □ ، فكان (صلى الله عليه وسلم) يقوم من الليل حتى تتورم قدماه ، وعندما سئل
في ذلك ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (أَفَلَا أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟) .

وما أكثر تحفيزه (صلى الله عليه وسلم) أصحابه وأُمَّته على **التمييز ، وعلو الهمة** ،
يقول (صلى الله عليه وسلم) : (فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ،
وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ) ، وعن ربيعة بن كعب
(رضي الله عنه) ، قَالَ : كُنْتُ أَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَأَتَيْتُهُ
بِوَضُوئِهِ وَحَاجَّتِهِ ، فَقَالَ لِي : (سَلْ) ، فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ : (أَوْ
غَيْرَ ذَلِكَ؟) ، قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ ، قَالَ : (فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ) .

وعلو الهمة في العبادة يقته **ضي : حسن أدائها ، وأن يظهر أثرها في سلوك**
الإنسان وأخلاقه، فلا يكذب ، ولا يخون ، ولا يغش ، ولا يأكل أموال الناس بالباطل ،
فيتوافق أداء العبادة مع الغاية منها ، فتتحقق الاستقامة التي هي أساس هذا الدين
القيوم .

ومن أهم ميادين علو الهمة ميدان **العلم** ، فقد أمرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) أن نسأل الله تعالى علماً نافعاً يعود أثره على خلق الله تعالى جميعاً ، يقول
(صلى الله عليه وسلم) : (سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا ، وَتَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ) ، وكان
من دعائه (صلى الله عليه وسلم) : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ...) ، فالعلم

(3)

النافع هو السلاح الحقيقي الذي تقوى به الدول ، وتتقدم به الأمم ، فما تقدمت دولة إلا بالعلم ، وما تخلفت أخرى إلا بتكاسلها وتأخرها في ميدان العلم .

وكان الصحابة والتابعون (رضوان الله عليهم) **أعلى الناس هممة في طلب العلم** ، فهذا سيدنا أبو هريرة (رضي الله عنه) كان ذا هممة عالية في طلب الحديث ، وكان يقول : **لَمْ يَكُنْ يَسْئَلُنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) غَرَسُ الْموادِي ، وَلَا صَقُّ بِالْأَسْوَاقِ ؛ إِنَّمَا كُنْتُ أَطْلُبُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَلِمَةً يُعَلِّمُنِيهَا...** ، **فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ (رضي الله عنه) : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، كُنْتَ أَلْزَمْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وَأَعَلَمْنَا بِحَدِيثِهِ ،** ويقول سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) : **"... كَانِ لِيْبُلْغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ ، فَأَتَيْهِ وَهُوَ قَائِلٌ ، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ ، فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَيَّ وَجْهِي التُّرَابَ ، فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ، مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَا أَرْسَلْتُ إِلَيَّ فَأَتَيْكَ؟ فَأَقُولُ : لَا ، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيكَ ، فَاسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ) ، وقال إسماعيل بن يحيى : سمعت الشافعي (رحمه الله) يقول : حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين ، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين ، وكان الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) يحفظ ألف ألف حديث ، وقيل : كان الإمام النووي يحضر في اليوم اثني عشر درسًا .**

كما جد علماؤنا القدامى في حمل أمانة العلم في كل مجالاته ، **وبلغوا رسالته للناس بكل تجرد** ، إرضاء لله تعالى ، ونفعًا للبشرية كلها ، فسجلوا بذلك أسماءهم وعلومهم بحروف من نور في ذاكرة التاريخ ، قال تعالى : **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ** .

ومن ميادين علو الهممة : **العمل** ، فقد أعلت الشريعة من شأن العمل ، ورفعت منزلته ، حيث ربط القرآن الكريم بين العبادة والعمل ، وجعلهما قرينين ، وفي ذلك

(4)

يقول الحق (جل شأنه) : □ فَاِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ □ ، وقد وعد الله (عز و جل) من أحسن في عمله بالحياة الطيبة في الدنيا ، والنعيم المقيم في الآخرة ، فقال الله سبحانه : □ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُذْكَرَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ □ ، وقال تعالى : □ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا □ .

وليس أدل على شرف العمل من أن جميع الأنبياء (عليهم السلام) كانوا يعملون ، فكان آدم وإبراهيم ولوط (عليهم السلام) زُرَّاعًا ، وكان نوح (عليه السلام) نجارًا ، وإدريس (عليه السلام) خياطًا ، وصالح (عليه السلام) تاجرًا ، وداود (عليه السلام) حدادًا ، قال تعالى : □ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَاللَّا لَ لَهُ الْحَدِيدُ * أَنْ أَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ □ ، فالإنسان تعلق بقيمته ، ويشرف بما يجيد ويحسن ، فالعمل خير من سؤال الناس ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لَنْ يَحْتَضِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا ، فَيُعْطِيَهُ ، أَوْ يَمْتَعَهُ) .

وليس المراد مجرد العمل ؛ وإنما المراد **إتقان العمل** ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ) ، و كان (صلى الله عليه وسلم) حريصًا على أن يكون لكل فرد عمل طيب ، ينفع به نفسه وغيره ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ) ، فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : (يَعْمَلُ بِيَدِهِ ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ) ، قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : (يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ) ، قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : (فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ ، فَإِنَّهَا

(5)

لَهُ صَدَقَةٌ) ، فحث (صلى الله عليه وسلم) من يعجز عن العمل على الإمساك عن ضرر الناس ، وجعل ذلك عملاً يثاب عليه ؛ لأنه وقى الناس من شروره وضرره .
ومن أعلى درجات الهمة : الهمة في خدمة المجتمع ، وإعانة الضعيف ، وإغاثة الملهوف ، وقضاء حوائج المحتاجين ، والنجدة والشهامة ، فقد جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ)؟ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُورُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَيَّ مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلَئِنْ أَمْشَيْتَ مَعِ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمِضِيَهُ أَمْضَاهُ ، مَلَأَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَتَيْتَهَا لَهُ أَتَيْتَ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزَلُّ فِيهِ الْأَفْدَامُ) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

إخوة الإسلام :

إن من أجل الميادين التي ينبغي أن تتنافس جميعًا فيها ، وأن تكون أصحاب همة عالية : **خدمة الوطن** ، فخدمة المواطن من الإيمان ؛ وقد أمرنا الله تعالى بالتنافس في ميدان الخير ، والنفع الذي يعود أثره على الوطن ، حيث يقول الحق سبحانه : **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِيَّايَ فَالَّذِينَ سَبَقُوا فِيهَا لَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ** .

(6)

تَحْتَلِفُونَ □ ، وقد مدح الله (جل شأنه) عباده الذين يسارعون في بذل الخير للناس ،
ويبين سبحانه أن ذلك الخير ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة ، يقول تعالى : □ إِنَّهُمْ
كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ □ ، بعلو همة ،
ورغبة في نفع الناس ، وثقة كاملة في فضل الله تعالى وتوفيقه .

ومن الهمة العالية : **الهمة في بناء الأوطان** ، وتحمل المسؤولية المجتمعية ،
والمناصفة في أهال المبر ؛ من صيانة الم ساجد ، وبناء المدارس ، وتجهيز
المستشفيات ، وعلاج المرضى ، فكل ذلك من الصدقات الجارية ، حيث يقول نبينا
(صلى الله عليه وسلم) : (سَبْعُ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ، وَهُوَ فِي قَبْرِهِ : مَنْ
عَلَّمَ عِلْمًا ، أَوْ كَرَى نَهْرًا ، أَوْ حَفَرَ بئرًا ، أَوْ غَرَسَ دَخْلًا ، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا ، أَوْ وَرَثَ
مُصْحَفًا ، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ) .

فما أجمل أن يكون بيننا **تنافس في خدمة الوطن الذي يحتوينا جميعًا** ،
ويعود خيره وفضله على جميع أبنائه ، ونحقق ذلك بالثبات ، والاتحاد ،
والوعي ، والتراحم ، ومد يد العون للجميع ، فالوطن لنا جميعًا ، ويتقدم بنا جميعًا ،
ولسنا أقل إرادة ، ولا قوة ، ولا جهدًا من غيرنا ، فنحن أصحاب الحضارة ، والأصالة ،
والتاريخ ، ولا بد أن نعلم أن تحقيق السابق والتفوق يتطلب اقتحام الصعاب
والأهوال ، وإنكار الذات ، فالمكارم منوطة بالمكاره ، والمصالح والخيرات لا يتوصل
إليها إلا بالجهد والمشقة ، والله در أبي تمام في قوله :

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها * * * ثنال إلا على جسر من التعب .

اللهم ارزقنا همما عالية نحوز بها سبق ، والفضل ، والتقدم ، والرقي

فيما ينفعنا في الدنيا والآخرة ، واحفظ ديننا ، وبلادنا ، وسائر بلاد العالمين .